المدرسة السفسطائية[1]

Sophistes

ترتاب هذه الجماعة فى إمكان معرفة ماهية (حقيقة) الاشياء وقد قادهم ارتيابهم هذا الى البحث عن المعرفة وشروطها . نشأت هذه المدرسة فى المدن اليونانية الشهيرة — خصوصاً فى مدينة اثينا — وذلك فى العهد الديمقراطى . وكان همها منحصراً فى اعداد شبان لهم قسط ناجح من الثقافة التى تفيدهم فى حياتهم العملية . أما معنى اللفظة فى الأصل فهو « حكماء » وكان اتباعها ينتقلون من مكان إلى آخر للتعليم دون أن يحاولوا توحيد آرائهم ولم يبحثوا « الاجسام » وما وراءها ولكنهم التفتوا الى المنطق الارتيابى

أما السبب فى اطلاق اسمهم على كل ما هو سخيف من المحاورات فهو افلاطون الذى عاصر فلاسفتهم المتأخرين المشتغلين بالمحاماة ، الامر الذى كان يحدو بهم الى قلب الحقائق رأساً على عقب ، بالمغالطة معتمدين فى ذلك على سرعة خواطرهم لاجل تبرئة موكليهم وكان أغلب هؤلاء المتأخرين من السفسطائيين — برو ديكوس Prodicus — مثلا من الخليعين المستهترين لتيار اللذات ، فعلى هؤلاء ، دون من سبقهم ، انصبت انتقادات سقراط وافلاطون وأرسطوا ، الذين لم يحاولوا مهاجمة بروتاجوراس أو جورجياس بالمرة ولكنهم كانوا يأخذون عليهما امتهان التعليم وجعله وسيلة للتعيش

علمت هذه المدرسة أن مظاهر (صفات) الاشياء التى نراها لا تخصها ولكنها تنتج عن الصلة الموجودة بيننا و بين هذه الاشياء . قالوا ليس هناك ذات (ماهية) فهذا ناتج عن شعورنا . فاذا نراء أى جسم من الاجسام لأحد

---

١ فصل من كتاب المدارس الفلسفية لعمر عنايت

الناس فى صورة معينة وظهر فى صورة مخالفة لفرد آخر فان الجسم هو فى الواقع كما يتجلى للاثنين، لان الانسان هو المقياس الوحيد الذى تقاس به الاشياء. وعلى هذه الفكرة اهتموا بتدريس ملخصات العلوم بطريقة سطحية على زعم امكان الوصول بذلك الى المعرفة الصحيحة وأهملوا عمل أية محاولة للتفريق مابين الخير والشر. وانتهى الأمر بان قضى خلفاؤهم على سمعتهم بتشجيعهم الاباحية دون أن يعيروا القانون او الاخلاق أدنى التفات، قائلين إن الحق للقوة فهى القانون الطبيعى ولم يكتفوا بذلك بل أيضاً شجعوا الناس على وجوب تلبية كافة رغباتهم واشهر فلاسفة هذه المدرسة: —

١. بروتاجوراس Protagoras (٤٨٠ — ٤١١ ق. م.)

اتهم بالكفر لانه شك فيما اذا كانت الآلهة موجودة أو غير موجودة. الحواس هي الكل فى الكل وهى أصل المعرفة. حواس الناس دائمة التغير وهى التى تحكم باختبارنا، عن طريقها، وما تحكم به هو الحق. ولكن قد تتناقض الاحكام الفردية مع بعضها؛ كنتيجة للاستنتاج الفردى. فالحكم الخطأ يساوى الحكم الصواب. وكل حكم هو خطأ فى نفس الوقت الذى يكون فيه صوابا. والاصابة (الخير) هي السرور فكل ما نسر منه صواب (خير). حاول بروتاجوراس الوصول إلى الكمال الوطنى (المدنى) وحصر همه في العمل لتثقيف شعبه وجعله قادراً. وظن أن ذلك يتيسر له بايجاد خطباء قادرين على قيادة مشاعر الامة

٢. جورجياس Gorgias (٤٨٠ — ٣٧٥ ق. م)

قال ليس هناك شيء (ماهية) وراء الظواهر (المرئيات) واذا فرض وأمكننا الوقوف على حقيقة (ماهية) هذا الشيء فليس من الهين علينا تفهيم الناس اياه. اذا كان اللاوجود وجود فيجب أن يكون هذا الوجود أبديا «والابدى» لا يحتوى على شيء. وحتى لو تمكنا من معرفة شيء فان هذا الشيء يكون «واحداً» مع العقل (يتوحد مع العقل). وهنا يتساءل هل يصير العقل أبيضا

اذا عرف البياض ؟ كل حاسة لا تدرك إلا ماله علاقة بها فالبصر مثلا يدرك الالوان ولـكنه لا يدرك الاصوات فهى من اختصاص السمع

٣ · برودیکوس Prodicus (؟)

كانت محاضراته تدور حول « ما يجب أن يتخذه الانسان نموذجا لسلوكه ابان حياته » وارتأى أن يعمل الانسان ما فى وسعه لـكي يكون قويا لان الحق للقوة . فالقوى هو الذى يطأ الضعيف بقدمه «هذا هوالقانون الاخلاقى الطبيعى» .